ولما انصرف خالد قافلا بالناس ودنوا من المدينة تلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى
الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم
واعطوني ابن جعفر فأتي بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه وجعل
الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار
إن شاء الله وقالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة
سلمة بن هشام بن العاصي بن المغيرة خالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما يستطيع أن يخرج
كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم في سبيل الله حتى قعد في بيته فما
يخرج وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومحاشاته بالناس وانصرافه
بهم قيس بن المسحر اليعمري يعتذر فلا صنع يومئذ وصنع الناس

فوالله لا تنفك نفسي تلومني على موقفي والخيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيرا فما بذا ولا مانعا من كان حم له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد إلا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلي النفس من نحو جعفر بموتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عزل

فبين قيس في شعره ما اختلف الناس فيه من ذلك أن القوم حاجزوا وكرهوا
الموت وحقق انحياز خالد بمن معه وكان مما يكنى به أصحاب مؤتة قول حسان بن ثابت

تأربني ليل يثرب أعسر وهمر إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلى إن فقدان الحبيب بلية وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاع حتى قال غير موسد بمعترك فيه فتى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائق أخضر
ولنا نرى في جعفر من محمد وفاء وأمرا حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم حبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك في ذلك

قام العيون ودمع عينك يهمل سحا كما وكف الضباب المخضل
واعتادني حزن فبت كأنني ببنات نعش والسماك موكل
في ليلة وردت علي همومها طورا أحن وتارة أتململ
وكأنما بين الجوانح والحشى مما لأوى شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بموتة أسندوا لم ينقل
صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)